# الأبعاد المحلية والإقليمية والدولية للانتخابات اللبنانية

م. حسن الرشيدي

مدير وحدة البحوث والدراسات بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

**ملخص الدراسة**

تعد لبنان الساحة الخلفية التي يتبارى من خلالها اللاعبون الدوليون والإقليميون للفوز بثروات المنطقة ومواطن النفوذ فيها. وهناك مشروعان رئيسان باتا يتصارعان الآن في المنطقة؛ الأول: مشروع صهيوأمريكي، والثاني: مشروع إيراني شيعي فارسي، ولكل مشروع من هذين المشروعين أهدافه واستراتيجياته، وأدواته وأساليبه.

وتعد لبنان وتفاعلاتها السياسية خير برهان على ما يستهدف الأمة من مشروعات وأجندات تتباين جهاتها ومصادرها، ولكنها تتفق في التحليل الأخير على النَّيْل من الأمة وثرواتها ومقدراتها.

وفيما يتعلق بالمشروع الإيراني الفارسي الشيعي، تعد لبنان مرتكز هذا المشروع ومنطلقه لتحقيق عدد من الأهداف؛ أهمها: استقطاب الشيعة في لبنان حول حزب الله الذي يعد ذراع طهران في هذه المنطقة المفصلية من الإقليم، بدون إلغاء حركة أمل لجعلها واجهة سياسية للمشروع الشيعي المراد، وتقليم أظافر الفلسطينيين في لبنان، واحتواء تنظيماتهم؛ باعتبارها مناوئة في مجملها لاستراتيجيات «التشييع»، وتحجيم الطوائف اللبنانية الأخرى، سواء بتحجيم زعاماتهم، أو إبراز زعماء آخرين موالين لمشروعهم، وتقوية التحالف مع نظام الأسد في سوريا، بهدف «تفتيت» وحدة المواقف العربية المضادة لطموحات طهران، إضافة إلى كسب شعبية داخل العالم الإسلامي عبر حزب الله بتصويره رمزًا للمقاومة وفقًا لزعمهم.

أما على الجانب الآخر، فنجد أن لبنان تمثل أهمية كبرى للمشروع الصهيوأمريكي، استنادًا إلى بُعدين رئيسين؛ أولهما: أنها منطلق لتهديد أمن إسرائيل. وثانيهما: أن أرضها أصبحت مأوًى للإرهابيين -بالتعريف الغربي- وملاذًا لجماعات إسلامية يُشتبه في ارتباطها بالقاعدة، خاصة داخل المخيمات الفلسطينية، وفي المناطق ذات الأغلبية السنية. هذا بالإضافة إلى كون لبنان باتت ورقة ضغط أمريكية على سوريا، لاسيما فيما يتعلق بقضية اغتيال الحريري وتداعياتها.

ومن ثَم فإن أي انتخابات في لبنان أيًّا كانت نتائجها، لن تغيِّر من واقع المعادلة السياسية في لبنان؛ لأن ما يحدث في لبنان إنما هو صدًى لتفاعلات الخارج الإقليمي والدولي، الأمر الذي يستلزم البحث عن موقع المشروع العربي من خريطة التجاذبات التي تشهدها الساحة اللبنانية، ومن ثَم يجب على الدول العربية إعادة النظر في استراتيجياتها بما يمكِّنها من العودة مجددًا كطرف مؤثر فيما يجري على أراضيهم وفي بلدانهم.

# الأبعاد المحلية والإقليمية والدولية للانتخابات اللبنانية

**م. حسن الرشيدي**

مدير وحدة البحوث والدراسات بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

**المقدمة:**

أن يترك نائب الرئيس الأمريكي بايدن كل هموم الداخل الأمريكي، وعلى قمته تأثيرات وتداعيات الأزمة المالية العالمية، وصواريخ كوريا الشمالية، والصحوة الروسية الجديدة لاستعادة قوتها العالمية، ويهرع إلى لبنان ليُعلِن من هناك قلق أمريكا من النتائج السلبية التي قد تُفرزها نتائج الانتخابات اللبنانية.

ويتزامن هذا مع تصريحات الرئيس الإيراني أحمدي نجاد الذي يعرب فيها عن اعتقاده بأن نتائج الانتخابات اللبنانية ستغيِّر وجه المنطقة.

وفي الوقت ذاته يتسابق المبعوثون الدوليون طوال الوقت على العاصمة اللبنانية، بدايةً من الأمين العام للأمم المتحدة، إلى موفد خاص أرسله في وقت لاحق، وصولاً إلى المبعوث الأمريكي الخاص إلى الشرق الأوسط، إلى وزراء خارجية الدول الغربية المعنية بالملف.

وحين حلَّ موعد التصويت والحسم، جاء إلى بيروت وفد المعهد الوطني الديمقراطي الأمريكي، ووفد دولي يراقب الفرز، ومائة مراقب آخرين يمثلون الاتحاد الأوروبي، فضلاً عن خمسين مراقبًا يمثلون عشرين دولة، أوفدهم مركز كارتر. بل قام الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر بالاتفاق مع رئيس الوزراء اليمني الأسبق الدكتور عبد الكريم الإرياني بترؤس اجتماعات الوفد الدولي، يعاونه في المهمة ممثل لأمين عام منظمة الدول الفرنكوفونية.

كل هذا يدفع إلى التساؤل ما أهمية الانتخابات في ذلك البلد الصغير مساحةً وسكانًا؟ وإلى أي درجة تكمن أهميتها الدولية، والتي تدفع منطقة الشرق الأوسط والعالم إلى الاهتمام بذلك البلد؟

وإشكالية هذه الورقة هي رصد وتحليل انعكاسات نتائج الانتخابات اللبنانية على الصراع المحلي والإقليمي والدولي.

وإذا كان الباحثون يترددون في استخدام اقتراب تحليل النظم في التعامل مع أي ظاهرة سياسية يمكن أن تصنَّف على أنها علاقات دولية أو سياسة خارجية؛ فإن المشكلة اللبنانية بتعقيداتها الداخلية، وامتداداتها الإقليمية والدولية، تصبح النموذج الأمثل لتطبيق هذا الاقتراب، وخاصة نموذج ايستون في التحليل، والذي يرصد فيه ويفكك التداخل بين النظام السياسي بمكوناته وأطيافه، مع البيئة الداخلية والخارجية لهذا النظام.

**لذلك سنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث رئيسة:**

**الأول**: الصراع الداخلي اللبناني.

**الثاني**: المشاريع الاستراتيجية الإقليمية والدولية، وموقع لبنان منها.

**الثالث**: الانتخابات اللبنانية، وأثرها على هذا الصراع.

## الطيف اللبناني

### لبنان جغرافيًّا وتاريخيًّا:

بلاد الشام اسم أطلقه العرب منذ القرن الرابع أو الخامس للميلاد على عموم الأراضي الممتدة من الفرات شرقًا إلى المتوسط غربًا، ومن حد بر الأناضول عند جبال طوروس شمالاً إلى حد مشارف سيناء جنوبًا. وكان العرب القدماء يميزون بين مواطنهم الشمالية، ويسمونها الشامية، ومواطنهم الجنوبية ويسمونها اليمنية، ولبنان جزء من هذه المنطقة الشمالية؛ حيث استُعمل لفظ لبنان في البداية كدلالة على الكتلة الجبلية الممتدة من النهر الكبير في شمال جبال لبنان حتى تخوم أرض فلسطين في الجنوب.

هذه الكتلة الجبلية تتألف من سلسلتين: السلسلة الشرقية والسلسلة الغربية تجمع بينهما هضبة، أو سهل البقاع، فسلسلة الجبال الغربية تنحدر نحو ساحل البحر المتوسط مكوِّنة شريطًا ساحليًّا تقع عليه المدن المهمة، بدءًا من طرابلس في الشمال مرورًا ببيروت في الوسط، وانتهاء بصيدا وصور في الجنوب، أما سلاسل الجبال الشرقية فهي تنحدر نحو الحدود السورية.

وأصل التسمية مشتق من كلمة «ل ب ن» السامية[1]، والتي تعني أبيض، وتعود تسمية لبنان بالجبل الأبيض لسببين: إما لبياض ثلوجه التي تكسو قممه في أكثر فصول السنة، وإما لطبيعة صخوره الكلسية البيضاء.

وخلال القرن الخامس الميلادي حدث صراع بين البيزنطيين الأرثوذكس والكاثوليك، فر على أثره أتباع القديس مارون الكاثوليكي من سوريا إلى جبال لبنان، وبعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام استوطنت قبائل عربية سُنّية ساحل لبنان وسهل البقاع، وجبل عامل في الجنوب، وفي العصر الفاطمي الباطني، وبعد سقوط دولتهم في مصر فر أتباع الحاكم بأمر الله إلى الشام، واتجه فريق منهم إلى جبل لبنان، وأُطلق عليهم الدروز؛ نسبة إلى زعيمهم محمد بن إسماعيل، ويقال: إنه درزي من أصل فارسي، ويعرف بنشتكين، وفي القرن السادس الهجري بدأت هجرات فارسية تحمل بذور التشيع إلى بعلبك وجبل عامل في لبنان.

وفي أواخر العصر العثماني وتحديدًا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي بدأ نجم الدولة العثمانية في الأفول، وازداد التغلغل والنفوذ الأوروبي في منطقة الشام طمعًا في اقتسام تركتها، ووجدت كل دولة أوروبية متنافسة بُغيتها في أقليات الشام، فتحالف الفرنسيون مع المارونيين، والإنجليز مع الدروز؛ خاصة أن هاتين الطائفتين استوطنتا نفس المنطقة (جبل لبنان)، فنشبت بينهما حروب ومجازر للسيطرة على هذا الجبل، وعمل الفرنسيون على زيادة أعداد المارونيين في لبنان بتشجيعهم على الهجرة من سوريا.

ونلاحظ أن لبنان في العرف المتداول منذ نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كان يدور حول جبل لبنان، ويُقصد به الجبال الشرقية والغربية في الوسط والشمال، أما الساحل كله وسهل البقاع والجنوب فلم يكن داخلاً في ذلك المسمى.

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، وبمقتضى سايكس بيكو، وُضعت سوريا ولبنان تحت الهيمنة الفرنسية في اتفاق أوروبي سري للهيمنة الفرنسية، بينما ظلت ظاريًّا داخلة في الدولة العربية التي وُعِدَ

(١) اسم لبنان عبر العصور، أنطوان إميل خوري حرب، مجلة شهادتنا اللبنانية، أغسطس ٢٠٠٣م.

بها الشـــريف حســـين وأبناؤه من بعده. وفي سبتمبر من عام ١٩٢٠م أعلن الجنرال الفرنســـي غورو قيام دولة لبنان الكبير معلنًا بيروت عاصمة لها. وتمثل عَلَم الدولة في دمج علمي فرنسا ولبنان معًا.

ووُصفـــت الدولة الجديدة باســـم لبنان الكبير على أساس ضمّ ولاية بيروت إليه مـــع أقضيتهـــا وتوابعها (صيـــدا، وصور، ومرج عيون، وطرابلس، وعـــكار)، والبقاع مع أقضيته الأربعـــة (بعلبك والبقاع، وراشـــيا وحاصبيا) فاتسعت مســـاحته من ٣٥٠٠ كلم مربع إلى ١٠٤٥٢ كلم مربع[١]، وازداد سكانه من ٤١٤ ألف نسمة إلى ٦٢٨ ألفًا.

**في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وبمقتضى سايكس بيكو، وُضعت سوريا ولبنان تحت الهيمنة الفرنسية في اتفاق أوروبي سري للهيمنة الفرنسية، بينما ظلت ظاهريًّا داخلة في الدولة العربية التي وُعِدَ بها الشريف حسين وأبناؤه من بعده.**

وفي عام ١٩٤٣م اســـتقلت الدولة اللبنانية بشكلها الفرنسي الجديد، أي السلاســـل الجبلية، بالإضافة إلى سهل البقاع والساحل، وبغالبيتها المارونية، والتي نتجت عن تهجير المارونيين للبنان من قِبَل فرنسا كما أسلفنا، ويُنتخَب بشارة الخوري الماروني المسيحي كأول رئيس جمهورية للدولة الوليدة.

في البداية جرى التوافق اللبناني عرفًا بين الطوائف الثلاثة الرئيســـة على اقتسام الســـلطة فيما بينها، فالمارونيين يتولوّنَ منصب رئيس الجمهورية، والســـنة منصب رئيس الوزراء، بينما الشيعة يُسنَد إليهم رئاسة مجلس النواب، ولكن الميزان حينئذ كان يصبّ لصالح المســـيحيين، فالكوتا الطائفية حتى عام ١٩٨٩م، وهو موعد اتفاق الطائف أعطت المسيحيين نسبة ٧ على ٦ للمسلمين في مؤسسات الدولة والوظائف الكبرى.

ولكـــن بمرور الوقـــت تغير الميـــزان الديموجرافي لصالح المسلمين، مما ساعد على ازدياد أزمات النظام داخليًّا، مما أســـفر عن اشـــتعال الحرب الأهلية عام ١٩٧٥م إلى أن جاء اتفاق الطائف الذي أقر المناصفة بين ممثلي المســـيحيين والمسلمين في المجلس النيابي والحكومة وموظفي الفئة الأولى.

وفي نفس الوقت لم ينته الصراع بين الطوائف اللبنانيـــة الثمانية عشـــرة المكونة للفسيفســـاء اللبنانيـــة، ونتج عن الحرب الأهلية أمور كثيرة:

منها: ازديـــاد نفوذ الطوائف التي اعتبرت نفســـها خرجت منتصرة في الحـــرب الأهلية، وتطمح للمزيد من تثبيت نفوذها فيما بعدُ، متذرعة بحجج كثيرة أو ظروف ساعدتها مثل الشيعة.

ومنها أيضًا: ازدياد النفوذ السوري في لبنان، خاصة بعد حرب الخليج الأولى، كما سنبين لاحقًا في الجزء الثاني من هذه الورقة.

هذان العاملان وعوامل أخرى ســـاهمت في تأجيج الصراع على هذه الأرض بـــين أبناء لبنان، حتى هذه اللحظة منشـــؤها الأساســـي أن لبنان كما يقول وليد جنبـــلاط -زعيم الدروز-: عبارة عن تســـوية. ولعله يقصـــد مجموعة قوى سياســـية وطوائف تعتمد منذ تاريخ نشأتها على قوى خارجية لدعمها.

### مسيحيو لبنان من الأكثرية إلى الأقلية:

يضـــم لبنان بـــين أرجائـــه إحدى عشـــرة طائفة مســـيحية، أكبرها الطائفة المارونية، ويعتقد أصحاب هذه الطائفة أنهم أحق بحكم لبنان والهيمنة عليه؛ لأن الغرب المنتصر اقتطع هذه الأرض لمســـيحيي الشرق؛ ليقيمـــوا عليها دولتهم، وبالرغم مـــن تبدل معطيات العشـــرينيات من القرن الماضي عن العشـــرية الأولى من القرن الحالي، فإن هذه المزاعم لا تزال تتشـــبث بها هذه الطائفة هي وغيرها من الطوائف المســـيحية الأخرى، بالرغم من أن الأرقام التي مصادرها الغرب

(١) موقع مجلس الوزراء اللبناني على الإنترنت:
http://www.idal.com.lb/Arabic/WhyLebanonAr.aspx?ID=154

وعلـــى قمته الولايات المتحدة تعطي مســـيحيي لبنان بجميع طوائفهم نسبة ٣٩٪ من السكان.(١)

وبالرغم من ذلك فإنهم لا يزالون يريدون السيطرة على مفاصل الدولة السياسية والعسكرية والاقتصادية، وإنهم وإن تنازلوا مرغمين عن مكاســـبهم في الطائف فهم يســـعون إلى زيادة حصتهم في السلطة بعيدًا عن المناصفة أو على الأقل تثبيتها.

وفي الغالب فإن المسيحيين في لبنان يســـعون إلى زيادة النفوذ المسيحي في الدولة، ومن المعلوم أن اتفاق الطائف قد انتزع منهم كثيرًا من الصلاحيات، وأسندها إلى مجلس الوزراء مناصفةً بين الوزراء المســـيحيين والمسلمين، وبعد أن يئســـوا من تحقيق هذا الهدف عبر الآليات العســـكرية، كما حدث إبان الحـــرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥م، أو عبر الدعم الفرنســـي أو التحالف مع إســـرائيل؛ فإن المارون يذهبـــون لتحقيق ذلك الهدف عبر عدة اتجاهات:

**إن المسيحيين في لبنان يسعون إلى زيادة النفوذ المسيحي في الدولة، ومن المعلوم أن اتفاق الطائف قد انتزع منهم كثيرًا من الصلاحيات، وأسندها إلى مجلس الوزراء مناصفةً بين الوزراء المسيحيين والمسلمين.**

اتجاه يسعى إلى تحقيق تلك الغاية عبر التحالف مع الشيعة. واتجاه آخر يعمل على التحالف مع السنة.

**الاتجاه الأول:** وهـــو الـــذي يريد تحقيـــق أهداف المسيحيين في لبنان، واستعادة هيمنتهم القديمة عبر التحالف مع شـــيعة لبنان، ويجـــيء على رأس هؤلاء ميشـــيل عون زعيـــم التيار الوطني الحر، وســـليمان فرنجية رئيس تيار المردة وزعماء الأرمن.

ولم يخرج ميشـــيل عون الزعيم المســـيحي الأبرز عن الســـمة الغالبة لزعمـــاء الطوائف اللبنانية، وهي التقلب المســـتمر من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار وبالعكس، ففي البداية كان ميشـــيل عون من الضباط المسيحيين في الجيش اللبناني المحسوبين على سوريا، ثم انقلب عليها عندما أُسندت إليه قيادة الجيش، ثم رئاســـة الوزراء في حكومة مؤقتة عندما انتهت ولاية الرئيس اللبناني أمين الجميل، عندها قاد عون الجيش اللبناني، وكانت مكوناتـــه وقتها يغلب عليها العناصر السُّـــنّية والمارونية في مواجهة مع الميليشيات الدرزية والشيعية المدعومة من سوريا.

وتعاطـــف السُّـــنّة حينها مع ميشـــيل عون الذي وجد دعمًا مـــن الرئيس العراقـــي صدام حســـين، فقد أمده بالســـلاح؛ ردًا على دعم الأسد لإيران في حربها مع العراق، وحين تبدلت المعطيات الدوليـــة بعد اجتياح صدام للكويـــت اجتاحت قوات الأسد معاقل عون الذي لجأ حينئذ إلى فرنسا، وظل عون معارضًا شرسًا عنيدًا للوجود السوري في لبنان في شـــتى المحافل الأمريكية والغربيـــة حتى اغتيال الحريري وعودته إلى لبنان مرة أخرى، ثم انقلابه مرة أخرى لصالح سوريا وإيران برعاية من حزب الله.

**يتحـرك هـذا الاتجـاه لاسـتعادة الهيمنـة المسـيحية القديمة عبر عدة مسارات أهمها:**

١- إقامة تحالف مع الشيعة في لبنان، وتنظيماتهم القوية، وعلى رأسها حزب الله.

٢- الارتـــكان على المحـــور الســـوري الإيراني في الصراع الدائر بين الاستراتيجيات في المنطقة.

٣- التشـــديد على عدم توطين الفلســـطينيين في لبنان.

وتتبع هذه المسارات من حقيقة أن هذا التيار يراهن على أن قوة الآخرين هي التي ســـتعيد للمســـيحيين نفوذهم المفقود في لبنان، وهذه الحقيقة هي التي طالما ارتكز عليها المسيحيون في لبنان طوال تاريخهم، سواء فرنسا أو أمريكا أو إسرائيل؛ فهذا الفريق يراهن على

(١) انظر كتاب الحقائق للمخابرات الأمريكية
https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/le.html

أن الصراع في المنطقة سيؤول في النهاية إلى انتصار للمحور الإيراني السوري في السباق نحو الهيمنة، سواء كان هذا الصراع ضد المحور العربي بزعامة السعودية ومصر، أو المحور الأمريكي الإسرائيلي.

أما الرهان على الطائفة الشيعية فلأنها الأقوى على الأرض تنظيمًا وتسليحًا، ويأتي سعي عون وقيادات تياره لمحاولة تقليص صلاحيات رئيس الوزراء السُّنّي ليصبّ في هذا الاتجاه؛ أي إضعاف السنة في لبنان؛ لأنهم الذين يعتبرون بتاريخهم ووزنهم الديموجرافي والسياسي حجر عثرة في وجه التمدد الشيعي في لبنان.

**الاتجاه الثاني**: وتمثله القوات اللبنانية بزعامة سمير جعجع، وحزب الكتائب برئاسة أمين الجميل، وبعض الأحزاب والشخصيات المسيحية كما تنضم إليهم ضمنًا الكنيسة المارونية.

هذه الفسيفساء المسيحية المتباينة فيما بينها -والتي تتفق في عدائها للوجود السوري في لبنان، كما أنها ارتكبت بصورة أو أخرى في فترة الحرب الأهلية اللبنانية مجازر وتصفيات، سواء بحق الطوائف الأخرى أو الفلسطينيين، أو بحق المسيحيين أنفسهم- تحاول أن تحيي المشروع الماروني في لبنان عبر مسارات عديدة **منها**:

١- رفع شعار لبنان أولاً، كبديل للمشروع الإيراني في لبنان.

٢- الارتكان إلى أهل السنة في لبنان لمواجهة الحلف السوري الشيعي.

٣- توطيد علاقتها بالدول العربية الرئيسة كالسعودية ومصر، ونسج علاقات جيدة مع الغرب أيضًا، وعلى قمته فرنسا وأمريكا.

وقد استغل هذا الفريق المسيحي اغتيال الحريري لكي ينسج تحالفاته الداخلية والخارجية، ويصعد مرة أخرى إلى واجهة الأحداث، بعد أن ظل طوال الوصاية السورية المطلقة على لبنان في التسعينيات مُهَمَّشًا.

والواقع أنه عند تحليل الواقع المسيحي في لبنان يصعب على المرء توقع نتيجة الصراع الدائر، والانقسام الحاد داخل هذه الطائفة -بين فريقين كادا أن يكونا متساويين في حصتهما من الجماهير المسيحية- وتأثير ذلك الانقسام على مكانة الوضع الاستراتيجي المسيحي، وهل سيؤول إلى مزيد من الضعف لهذه الطائفة أو أنها ستكسب في جميع الحالات، سواء انتصر الجانب السني أو الجانب الشيعي، ولكن من المؤكد أنه على المدى الزمني البعيد فإن المسيحيين سيتحولون إلى مزيد من الضعف؛ نتيجة لعدم وجود مشروع مستقل لهم، بعيدًا عن تجاذبات الطوائف والقوى الإقليمية والدولية.

### أهل السنة في مواجهة الإعصار:

السنة هم أكبر الطوائف في لبنان، ونسبتهم طبقًا للجداول الانتخابية الرسمية تقارب ٢٦٪ من اللبنانيين.(١)

وعلى الرغم من أن السُّنّة هم أكبر هذه الطوائف عددًا، إلا أنهم الأضعف في الوضع الاستراتيجي، حتى باتت أماكن تمركز السنة وتجمعاتها قبلة الرسائل الموجهة داخليًا وإقليميًا، وما تفجيرات واشتباكات طرابلس، واجتياح بيروت الغربية، وأحداث الضرب اليومي في عائشة بكار داخل بيروت إلا نموذجًا لهذه الرسائل.

تقول بعض الروايات التاريخية: إن زعماء السنة في لبنان قبلوا عام ١٩٢٠م الانضمام إلى لبنان الكبير كخطوة أولى نحو توحدهم مع سوريا فيما بعد، أي أن الأصل في السنة أن ميولهم نحو العرب وسوريا، بعكس نظرائهم من المسيحيين الذين غلب عليهم الارتباط بالغرب وبالذات فرنسا.

وفي هذه الأثناء كانت الحالة العائلية هي التي

(١) موقع الجزيرة نت:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/3FC03E32-652C-4A53-A473-91807B776AF5.htm

تسيطر على زعامة أهل السنة في لبنان، فهذه الزعامة كانت موزعة بين عدة بيوت تتوارث فيما بينها الأدوار السياسية، بينما كانت التطلعات نحو العروبة والقومية بتجلياتها الناصرية تغلب على الشارع السُّنّي، وانعكس ذلك عند استقبالهم اللاجئين الفلسطينيين، ومِن بعدها المقاومة الفلسطينية، والتي كثَّفت وجودها في لبنان عقب مذبحة أيلول عام ١٩٧٠م، وعند مشارف الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥م كانت كل طائفة تسلِّح شبابها وتدرِّبهم على القتال، بينما استنكفت أكثر زعامات أهل السنة عن الدخول في هذا المعترك إلا بعض الناصريين؛ اكتفاءً وثقةً بأن المقاومة الفلسطينية هي الذراع الحامي لأهل السنة، وبانتهاء هذه الحرب كاد أهل السنة أن يكونوا أكثر الطوائف الخاسرة بعد الحرب.

ولكن عملية التسوية، والتي انتهت بعدها الحرب الأهلية، والتي أُطلق عليها مؤتمر الطائف، حاولت أن تبرز دور السنة؛ نتيجة التدخل السعودي القوي في إنجاز هذه المصالحة، وحاجة لبنان الشديدة للأموال العربية لإعادة إعمار بلد مخرب أنهكته الحرب.

وأسفر اتفاق الطائف أيضًا عن صعود لعائلة جديدة في الحياة السياسية السنية، وبروز نجم رفيق الحريري، وعندما بدأ نجمه يسطع في لبنان كان وضع السنة ضائعًا بين احتلالين: سوري وإسرائيلي، وقوى لبنانية شيعية تعمل في أساسها على تهميش أكبر قوة سكانية في الأرض اللبنانية، واغتيال أو تهميش أي زعامة سنية تريد أن تفك تلك الشرنقة المضروبة حول السُّنّة.

فرض الحريري نفسه على الساحة اللبنانية بقدرته الفائقة على قراءة الوضع السياسي المحلي والإقليمي والدولي؛ فعلى الصعيد المحلي استطاع أن يركز على إعمار لبنان، ونجح باتصالاته وشبكة علاقاته الدولية والإقليمية الخليجية في جلب الأموال اللازمة لإعمار لبنان، كذلك نجح الحريري في كسب رضا النظام السوري، وهو الفاعل الأكبر في استتباب الوضع اللبناني بعد نهاية الحرب الأهلية.

وعلى الصعيد المحلي بدأت الطائفة السنية تعود للحياة من جديد في لبنان بدور فاعل؛ بسبب صعود الحريري السياسي، وكان نجاح الحريري يعود **لعدة عوامل:**

١- انتهاجه نهجًا تصالحيًّا مع بقية الطوائف اللبنانية وليس تصادميًّا.

٢- أمواله الطائلة، والتي نجح بواسطتها في إقامة مؤسسات خدمية من تعليمية واجتماعية وصحية، كان نصيب السنة منها الحظ الوافر، ولكنها لم تكن بعيدة عن الطوائف الأخرى.

٣- قدرته على الاستفادة من علاقاته الشخصية في تقوية وضعه السياسي.

ولكن بمرور الوقت بدأت عوامل الضعف تظهر في مشروع الحريري؛ وذلك نتيجة لأسبابٍ **من أهمها:**

١- أن هذا المشروع ليس مشروعًا عقائديًّا، ولا نعني بمشروع عقائدي أنه متصادم بالواقع كما يتصور البعض، ولكن المشروع العقائدي يدرك واقعه جيدًا لكي تتنزل عليه النصوص، ولكن الحريري نتيجة ابتعاده عن الحالة السنية العقائدية وثق كثيرًا في طوائف الباطنيين والشيعة. لقد كان الحريري يتوسط بإيعاز من الأسد لسوريا لدى أوروبا والولايات المتحدة، ويثق في حلفاء له كجنبلاط وغيرهم.

٢- لم يتبَنَ الحريري المظالم التي وقعت على أهل السنة في لبنان طيلة الاحتلال السوري، فاعتُقِلَت مجموعات إسلامية كثيرة وزُجَّت في السجون، وعُذِّبت في المعتقلات في الضنية والبقاع وطرابلس.

بعد اغتيال الحريري ظهرت المتناقضات في مشروعه على السطح، خاصة بعد تولي ابنه قليل الخبرة، فبرزت الجماعات السلفية، والتي ترفض علمانية الحريري، والطيف السلفي بعضه قابل للاختراق، فسهل توجيهه من أجهزة المخابرات السورية، ومن حزب الله وغيرهم، وبالرغم من أن الجسم الأكبر من السلفية اللبنانية يرفض هذه الخروقات، ولكنه ليس

له كيان تنظيمي قوي -فضلاً عن محاصرة السلفية خارجيًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر- فعجز عن تقديم البديل كما انقسمت الجماعة الإسلامية في لبنان ما بين مؤيد للمشروع الإيراني في لبنان، ومعارض له، مما أثَّر على شعبيتها والتحامها بالنسيج السني اللبناني.

كذلك فقد السنة حليفهم الفلسطيني، ولم يتوصلوا لصيغة معينة تضمن بقاء الفلسطينيين في لبنان عامل قوة لأهل السنة في لبنان.

**الشيعة.. والقوة على الأرض:**

يمثل الشيعة حوالي ٢٥٪ من مجموع سكان لبنان، وهم يُعدّون بتلك النسبة ثاني أكبر طائفة لبنانية.(١)

ظلت الشيعة طائفة على هامش الحياة السياسية اللبنانية حتى مجيء موسى الصدر من إيران؛ ليشرع في تنظيم الطائفة، وساعده في ذلك المواربة الذين أرادوا إضعاف سنة لبنان، فعمدوا إلى إخراج الشيعة من الحصة السنية، بالموافقة على إنشاء المجلس الأعلى للشيعة، منفصلاً عن دار الإفتاء، فتلاقت الإرادتان: إرادة شيعية إيرانية، وإرادة مارونية لبنانية. ولعل التحالف القريب بين عون ونصر الله هذه الأيام جدَّد هذه التحالفات القديمة.

وما لبث أن أنشأ موسى الصدر حركة أمل وجناحها المسلح بعد أن نجح في نسج علاقة جيدة بالمقاومة الفلسطينية، والتي دربت رجال الشيعة على السلاح، ثم كان الصدر أول الناقضين لتحالف السنة والشيعة والدروز. وعندما كان الفلسطينيون في أوج الحرب الأهلية، وفي قمة انتصارهم، تدخل الأسد بجيشه؛ استجابة لرغبة أمريكية إسرائيلية، ورغبة منه في تحجيم النفوذ الفلسطيني في لبنان، وسرعان ما اختفى الصدر في ظروف غامضة.

تزامن اختفاء الصدر مع اعتلاء رجال الدين الشيعة سُدَّة الحكم في إيران، وشروعهم في تنفيذ خطط جديدة للهيمنة والنفوذ، مع ما استتبعه ذلك من إحياء للطوائف الشيعية في العالم، فأُعيد تنظيم الطائفة الشيعية في لبنان، وتم إنشاء حزب الله، وسحب البساط من تنظيم الصدر في لبنان والمتمثل في حركة أمل، حيث كانت إيران تعتقد أن الزعيم الجديد لأمل وهو نبيه بري أقل طواعية لها من حزب الله، كما أن ولاءه أكثر للحكم السوري.

**ظلت الشيعة طائفة على هامش الحياة السياسية اللبنانية حتى مجيء موسى الصدر من إيران؛ ليشرع في تنظيم الطائفة، وساعده في ذلك المواربة الذين أرادوا إضعاف سنة لبنان، فعمدوا إلى إخراج الشيعة من الحصة السنية، بالموافقة على إنشاء المجلس الأعلى للشيعة.**

وكانت غاية إيران من هذا الحزب جعله ورقة لها -تحجِّمها أو تترك لها العنان متى شاءت- لتخدم مشروع التمدد الإيراني في المنطقة وفي العالم.

**وقد وضعت إيران عدة أهداف لعمل الحزب منها:**

١- استقطاب الشيعة في لبنان حول الحزب، بدون إلغاء حركة أمل لجعلها واجهة سياسية.

٢- تقليم أظافر الفلسطينيين في لبنان، واحتواء تنظيماتهم.

٣- تحجيم الطوائف اللبنانية الأخرى، سواء بتحجيم زعاماتهم، أو إبراز زعماء آخرين موالين لمشروعهم.

٤- التحالف مع نظام الأسد في سوريا.

٥- كسب شعبية داخل العالم الإسلامي.

وكانت آليات الحزب لتحقيق تلك الأهداف:

١- المال الإيراني لإقامة مشاريع اجتماعية، وتعليمية وصحية؛ لاستقطاب شيعة لبنان.

٢- إقامة صرح إعلامي متمثل في صحف، وقنوات تلفزيونية وفضائية وإذاعية.

(١) مرجع سابق.

٣- إنشاء ذراع عسكري قوي للحزب، وتزويده بالسلاح والتدريب عليه، وعلى العمليات العسكرية.

٤- شنّ حرب عصابات ناجحة على إسرائيل لإخراجها من جنوب لبنان، وتلك الورقة الإسرائيلية تحقق لها عدة أهداف، منها أنها تسحب البساط من الفلسطينيين، وتقلل نفوذهم في لبنان، وأنها دعاية جيدة للحزب داخل العالم الإسلامي.

وحتى عام ٢٠٠٨م نجح الحزب في تحقيق أكثر هذه الأهداف، ولكن بعد هذا التاريخ بدأت صورة الحزب تتآكل على الصعيد الداخلي والخارجي، عندما حرَّك قواته للسيطرة على بيروت الغربية التي يقطنها غالبية السُّنّة، ثم تبع ذلك اتفاق الدوحة الذي جاء ليكرِّس هيمنة حزب الله، ويعيد ترتيب المشهد السياسي اللبناني بما يتلاءم مع المشروع الإيراني، وتكريس وجوده كدولة داخل الدولة اللبنانية، ولكن هذا الذي أقدم عليه الحزب أثَّر على صورته ليس في لبنان فحسب، لكن في الخارج كشعبيته في صفوف أهل السنة كبطل مقاوم لإسرائيل.

## تأثير الاستراتيجيات الإقليمية والدولية على الداخل اللبناني:

في المنطقة الآن يتصارع مشروعان: أمريكي إسرائيلي، ومشروع إيراني شيعي، ولكل مشروع من هذين المشروعين أهدافه واستراتيجياته، وأدواته وأساليبه، وهناك مشروع ثالث، أو بقايا المشروع العربي، والذي يحاول أن يتجنب نتائج وآثار تصادم أو اتفاق المشروعين السابقين.

**والصراع الداخلي في لبنان يتأثر بالصراع الإقليمي والدولي، وهنا نلحظ عدة مشاهد من هذا الصراع تدور كلها حول ثلاثة أطراف هي: إيران أمريكا وسوريا:**

**أولاً: أمريكا:**

فبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حوَّلت الولايات المتحدة وجهتها إلى التحالف مع الشيعة في حملتها لتأديب المنطقة التي أخرجت هؤلاء الإرهابيين -وفق النظرة الأمريكية-، ووصفت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كولندليزا رايس هذه المنطقة بالموبوءة.(١)

وتكالبت مراكز الدراسات الأمريكية على التوصية بضرورة التحالف مع الشيعة، ويعرض ولي نصر(٢) -وهو أكاديمي أمريكي من أصل إيراني شيعي، ومدير مركز الدراسات الإيرانية في الولايات المتحدة- في كتابه صحوة الشيعة الصادر في عام ٢٠٠٧م لتأثير الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق في صعود الشيعة؛ إذ كان الغزو في حقيقته انتصارًا إيرانيًّا وشيعيًّا، وتشكّلت في أعقابه صحوة شيعية شملت العالم الإسلامي، وأدت بطبيعة الحال إلى نزاعات وأزمات طائفية على امتداد العالم الإسلامي، أعادت مرحلة البحث في التاريخ الإسلامي وتشكُّل الفِرَق والطوائف.

ويرى هذا الباحث أنّ الولايات المتحدة تخطئ إذا لم تأخذ بعين الاعتبار واقع المنطقة الجديد، ألا وهو تنامي نفوذ الشيعة، وإزاحتهم للنظام الذي كان سائدًا طيلة عقود، والذي يقوم على هيمنة أنظمة سنيّة مستبدّة، قامت بممارسة القمع والتمييز الديني (وأحيانًا العنصري)، ضدّ أقلياتها الشيعيّة، تلك الأقليات التي أصبحت اليوم في عدد من الدول العربية -كالعراق ولبنان والبحرين- أكثريات تطالب بحقّها في مزيد من المشاركة السياسية، إن لم يكن بحكم البلد ككلّ:

حيث يتقاسم اليوم الشيعة والأكراد الحكم فعليًّا في العراق المُفَدْرَل.

وفي لبنان حيث لم يعلن حزب الله علنًا بعد مطالبته بالمثالثة، ولكنّه مطلب يمكن إعلانه حين يأتي وقته، وحيث يكتفي الحزب اليوم بالمماطلة بمزيد من المشاركة في الحياة السياسية، وفي آليات اتخاذ القرار الداخلي والخارجي للبنان، أي مشاركة الشيعة بشكل أكبر في الحكم، ما يعني تقليص نفوذ الأكثريّتين الباقيتين، أي: المارونية التي حكمت منذ الاستقلال وحتى الحرب الأهلية عام ١٩٧٥م، والسنيّة التي حكمت منذ انتهاء تلك الحرب مع إعلان اتفاق الطائف، وحتى مقتل رفيق الحريري الذي يمكن أن يكون أحد أسباب عملية الاغتيال تلك -ومن نتائجها أيضًا- تغيير موازين القوى الداخلية والإقليمية لمصلحة الشيعة.

مع العلم أن هذا الباحث الأمريكي من أصل إيراني قد كتب ملخص هذا الكلام في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر، في مقال له بإحدى الدوريات الأمريكية الشهيرة كنصيحة موجَّهة للإدارة الأمريكية.

**ولكن كيف نتعرف على الأهداف الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في المنطقة في عهد أوباما؟**

تحت عنوان إعادة تعريف الأولويات الاستراتيجية الأمريكية كتب كيهان بارغيزار الأستاذ الزائر في جامعة هارفارد، وأستاذ العلاقات الدولية بجامعة أزاد الإسلامية بطهران(٣) يقول: «إن الأزمات في

(١) جزء من الحوار الذي دار مساء الأربعاء ١٩ أكتوبر ٢٠٠٥م بين رايس وأعضاء لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ، نقلاً عن صحيفة الشرق الأوسط الصادرة في ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٥م.

(٢) صحوة الشيعة، ولي نصر، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

(٣) في مقال تحت عنوان (إيران والشرق الأوسط والأمن العالمي) نُشر بدورية ortadogu etutleri عدد يوليو ٢٠٠٩م، ونشره تقرير واشنطن في ١١ أكتوبر ٢٠٠٩م.

العراق وأفغانستان ولبنان قد زادت أهمية قضايا الشرق الأوسط وارتباطه بالأمن العالمي من خلال أمرين: الأول عن طريق تغيير دور الفاعلين الإقليميين والدوليين. والثاني عن طريق تغيير طبيعة التهديدات الأمنية».

وفيما يتعلق بتغيير دور الفاعلين على المستوى الإقليمي يَعتبر الكاتب أن الأزمات الإقليمية قد أنتجت تغييرات جيوبولوتيكية في جانبين أساسيين الأول: ترابط التطورات السياسية في الدول الإقليمية، فمن شأن أيّ تطور سياسي في بلدٍ ما التأثير على البلدان الأخرى. والثاني: التحول في الدور التقليدي، والنفوذ والمصالح الخاصة بالفاعلين الإقليميين، وغير الإقليميين.

وبالنسبة للجانب الأول يرى بارغيزار أن الأزمة أدت إلى ارتباط القضايا الأفغانية بالأوضاع في الشرق الأوسط. وقد أدَّى صعود الجماعات الشيعية إلى السلطة في العراق، ومطالب الحكومة الشيعية العراقية المستمرة ببناء علاقات وثيقة مع إيران إلى زيادة دور إيران ليس فقط في الديناميات السياسية العراقية، بل في عموم العالم العربي، وخاصة في لبنان.

ويرى إلياس حنا[1] أنه يمكن استشراف أهداف الاستراتيجية الأمريكية لأوباما في الشرق الأوسط **فيما يلي:**

١- أولوية الحل الفلسطيني الذي سيساهم في الحل الإيراني.

٢- تغيير صورة أمريكا في المنطقة.

٣- ضرورة إيجاد استراتيجية خروج مشرِّفة لأمريكا من أفغانستان.

٤- حل المعضلة النووية الإيرانية، خاصة السلاح النووي، وطريقة التوفيق بينها وطمأنة كل من إسرائيل والعرب.

٥- إيجاد استراتيجية بديلة قد تكون عنيفة إذا فشل البعد الدبلوماسي.

وترتكز هذه الاستراتيجية على ثلاث دول: تركيا والسعودية ومصر، أما إسرائيل فهي قوة في الجيب.

وتمثل لبنان في الاستراتيجية الأمريكية بُعدين رئيسين: أولهما: أنه منطلق لتهديد أمن إسرائيل. وثانيهما: أن أرضه أصبحت مأوًى للإرهابيين -بالتعريف الغربي- وملاذًا لجماعات إسلامية يُشتبه في ارتباطها بالقاعدة، خاصة داخل المخيمات الفلسطينية وفي المناطق السنية.

**ثانياً: إيران:**

تبدو لبنان في الاستراتجية الإيرانية بُعدًا مهمًّا في تحقيق أهدافها البعيدة والمتمثلة في بسط نفوذها وهيمنها على المنطقة، وحده الأدنى هو أن يكون لإيران الدور الرئيس في تشكيل أمن المنطقة، ويكون لها نصيب الأسد في معادلة توازن القوى في الخليج.

وينقل السيد زهره عن كيهان بارزيجار، وهو أستاذ بجامعة آزاد الإسلامية الإيرانية قوله: إن اندلاع الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩م كان بطبيعة الحال نقطة التحول الكبرى في اتجاه استغلال العامل الشيعي في سياسة إيران الخارجية. وقبل كل شيء، شجَّعت الثورةُ الشيعةَ على أن يعبِّروا عن هويتهم المتميزة بالمقارنة مع الهويات الأخرى.

لكن وجود النظام الشيعي في العراق، والسياسات القمعية في الدول العربية حالت لفترة طويلة دون الاستفادة من العامل الشيعي في السياسة الخارجية الإيرانية.

ويسجل الكاتب أنه من منطلق فلسفتها الأيديولوجية، حاولت الثورة الإسلامية تغيير الوضع القائم في المنطقة بوسائل معروفة. وكان العنصر الأساس هنا هو القوى الشيعية التي ظلت مهمَّشة في بلدانها السنية.

(١) صحيفة الشرق الأوسط، عدد ١١١٤٩، ٧ يونيو ٢٠٠٩م.

واعتبرت الدراسة أن الصراع بين القوى الشيعية والسنية في المنطقة اليوم هو نتاج لصعود الشيعة في العراق وفي المنطقة، وأن ميزان القوة السياسية في المنطقة قد تحول لصالح الشيعة. ويقول كاتب الدراسة: «إن مخاوف دول المنطقة من هلال شيعي مبنية على بعض الحقائق: أهمها أن التحالف الإيراني مع القوى الشيعية سوف يُخِلّ بموازين القوى السياسية في دول المنطقة، ويهدِّد السيطرة السنية على مقاليد السلطة والحكم في هذه الدول».(١)

**قبل الانتخابات اللبنانية بأيام قليلة نقلت وكالة الأنباء الإيرانية إيرنا تعليقًا بالحرف يقول: «إن انتصار مشروع إيران في لبنان سيعطي إشارة البدء لانتصارها في كلّ مكان!!».**

قبل الانتخابات اللبنانية بأيام قليلة نقلت وكالة الأنباء الإيرانية إيرنا تعليقًا بالحرف يقول: «إن انتصار مشروع إيران في لبنان سيعطي إشارة البدء لانتصارها في كلّ مكان!!».(٢)

وبعده بأيام قليلة كشف تقرير فرنسي جديد(٣) يحمل عنوان «إيران والتوازن الجغرافي- السياسي في الشرق الأوسط»، وهو بحث مهم يقع في أكثر من مائتي صفحة، أعدته بعثة برلمانية ضمت ١٥ نائبًا فرنسيًّا من مختلف الاتجاهات السياسية برئاسة جان – لوي بيانكو. وقد تشكلت هذه البعثة بقرار صادر عن لجنة الشئون الخارجية في الجمعية الوطنية الفرنسية، واستغرق عملها ١٠ أشهر، زارت خلالها إيران وسوريا، والإمارات العربية المتحدة، والبحرين والأراضي الفلسطينية المحتلة وإسرائيل، والتقت عددًا كبيرًا من المسئولين في هذه الدول، كما التقت مسئولين ودبلوماسيين وخبراء فرنسيين وأجانب معنيين بالملف الإيراني.

هذه العناصر كلها تُضفي أهمية خاصة على مضمون تقرير البعثة؛ حيث أشار هذا التقرير إلى الدور الإيراني في الساحة اللبنانية قائلاً: «إن علاقات إيران مع لبنان تمر عبر حزب الله، وليس عبر الحكومة، وإن الحزب يشكِّل الركيزة الأساسية للتحالف الاستراتيجي السوري – الإيراني، وإن سلاح الحزب يمنحه القدرة على ضرب إسرائيل في حال تعرضت المصالح الحيوية السورية أو الإيرانية لأي تهديد أو خطر».

وذكر التقرير أن حزب الله يقوم حاليًا بشراء أراضٍ في جنوب شرق لبنان، بدعم مالي إيراني؛ من أجل إيجاد تواصل بين شيعة الجنوب وشيعة البقاع.

وأوضح أن إيران تملك حاليًا نفوذًا في صفوف الشيعة اللبنانيين، لكن التحالف بين حزب الله والعماد ميشال عون قد يساعد الإيرانيين على توسيع نطاق نفوذهم ليشمل المناطق المسيحية.

وكشف التقرير أن هدف إيران في لبنان هو إيجاد توازن جديد بين الطوائف لمصلحة الطائفة الشيعية؛ بحيث يرافق ذلك تعزيز النفوذ السياسي الشيعي في لبنان.

ونقل التقرير عن مسئول إيراني بارز هو علي أهاني السفير السابق في باريس والقريب من مرشد الجمهورية الإيرانية علي خامنئي قوله: ليس ممكنًا أن يحدث أي تقدم في لبنان إذا ما ظل البعض في هذا البلد يرفض الإقرار بحدوث تغيير في موازين القوى بين مختلف المجموعات التي يتكون منها لبنان.

لقد حاولت إيران جني ثمار غرسها في لبنان، واختارت اللحظة المناسبة لذلك، وهي اشتعال التوتر بينها وبين الولايات المتحدة على خلفية تقسيم الغنائم بينهما، وسارعت إيران في التحرك، محاولة إظهار

(١) أخبار الخليج، الخميس ٢٩ /١٠/٢٠٠٩م.
(٢) وكالة الأنباء الإيرانية «إيرنا»، ٢١ /٥/٢٠٠٩م.
(٣) صحيفة الوطن الكويتية ٥/٦/٢٠٠٩م.

أوراقها في لعبة الشد والجذب مع أمريكا، فهناك النفط وخطوط نقله، وهناك ورقة الانتحاريين الذين يمكن إرسالهم إلى دول مختلفة، وإحداث القلاقل في هذه الدول، وهناك أيضًا أفغانستان وطائفة الهزارة الشيعية، والصلة بين المخابرات الإيرانية وبعض زعماء الطاجيك، وهناك أيضًا شيعة الخليج والتأثير الإيراني عليهم، وهناك الورقة العراقية وشيعة الجنوب، بالإضافة إلى الورقة السورية، فضلاً عن الورقة الفلسطينية المتمثلة في دعم حماس بعد فوزها في الانتخابات، وأخطر هذه الورقات على الإطلاق هي ورقة لبنان وحزب الله.

إيران تريد الاحتفاظ ببرنامجها النووي الذي هو طريقها الفعَّال لكي تتبوأ مركز القوة العالمية؛ لذلك فإنها باتت تفعِّل أوراقها في المنطقة، خاصة في مناطقها الرخوة بدءًا من العراق، ومرورًا باليمن، وانتهاء بلبنان.

**ثالثًا: سوريا:**

إن الحلم بإعادة دولة الشام -كما كانت عليه في القرون السالفة- هو أمر ظل يداعب حكام دمشق؛ إذ بواسطة هذا الدور تلعب سوريا دورًا إقليميًّا ليس داخل نطاقها الحدودي الضيق، ولكن يمتد ليشمل لبنان والأردن، ومن ثَم حاول الحكم السوري امتلاك أوراق سياسية تكون بمثابة أداة يتم من خلالها الاعتراف به بمقتضاها وبدوره المتنامي.

ولعل المثال الأبرز في ذلك تحالفه مع أمريكا ضد العراق في حرب الخليج الثانية، وبمقتضاه قبض تفويضًا أمريكيًّا دوليًّا لحسم الأمور لصالح سورية في لبنان، وهو ما حدث عندما تدخلت القوات السورية، وأخرجت العماد ميشيل عون من قصر الرئاسة، وأطاحت به دون أن يثير تدخلها احتجاجًا دوليًّا كما جرت العادة في مثل هذه الأمور.

ولبنان يمثل للحكم السوري أهمية أكثر من الجولان، فهو بمثابة رأس حربة لمشروعه وطموحاته الإقليمية، فأوضاع لبنان واستقراره تهمّ أطرافًا عديدة، فالقدرة على التحكم في هذه الأوضاع تجعل سوريا بمثابة محط أنظار كثير من القوى الإقليمية والدولية. ففي عام ١٩٧٥م طلب كسينجر وبتشجيع إسرائيلي من حافظ الأسد دخول القوات السورية إلى لبنان؛ للتصدي للهيمنة الفلسطينية الإسلامية على لبنان بعد هزيمة حزب الكتائب أمام المقاومة الفلسطينية في الحرب الدائرة هناك.

ولكن ورقة لبنان بداخلها أوراق أخرى مهمة بالنسبة للحكم السوري مثل: حزب الله، وسوق العمل اللبناني الذي يشغله حوالي مليون عامل سوري، وعمولات الشخصيات السورية ذات النفوذ من أرباح الشركات اللبنانية.

**إيران تريد الاحتفاظ ببرنامجها النووي الذي هو طريقها الفعَّال لكي تتبوأ مركز القوة العالمية؛ لذلك فإنها باتت تفعِّل أوراقها في المنطقة، خاصة في مناطقها الرخوة بدءًا من العراق، ومرورًا باليمن، وانتهاء بلبنان.**

**اعتمد الحكم السوري على عدة أدوات لزيادة مساحة نفوذه وتأثيره في لبنان منها:**

١- أذرع المخابرات الطويلة، والتي تصل إلى عدد كبير من التنفيذيين، وضباط الجيش، والأمن العام اللبناني من جميع الطوائف، وتهديدهم بملفات مالية وأخلاقية وغيرها.

٢- الاغتيالات والاعتقالات والخطف ضد كل من تبدو منه نزعة للتمرد على النفوذ السوري.

٣- بث روح الفُرْقَة داخل الطائفة الواحدة، وتشجيع الانقسامات، وتعدد الزعامات.

٤- ولكن مع نهاية التسعينيات وبروز قوة حزب الله تراجع الدور السياسي السوري في لبنان نسبيًّا لصالح إيران، ولكن التحالف بينهما يجعل ورقة حزب الله تعمل لصالح الطرفين، وليس لطرف واحد، ولكن يبقى حزب الله في النهاية صنيعة إيرانية.

## الانتخابات اللبنانية
## وتفاعلات الداخل والخارج

في يوم السابع من يونيو كان الموعد مع الانتخابات النيابية اللبنانية التي ينتظرها الجميع، وبدا أنه كما وُجِدَ تنافس داخلي وصراع بين الطوائف، وصراع داخل كل طائفة من الطيف اللبناني، اشتد الصراع الإقليمي وتجلياته أيضًا في لبنان، سواء من التحالف الإيراني السوري، أو الهيمنة الأمريكية؛ حيث يريد كل طرف أن يُثبت للطرف الآخر أن ورقة لبنان لازالت في جعبته.

وكانت النتيجة هي فوز الأغلبية السابقة (المؤلفة من زعيم غالبية السنّة سعد الحريري، وزعيم غالبية الدروز وليد جنبلاط، وحزب الكتائب والقوات اللبنانية الممثِّلين لقرابة نصف المسيحيين)، بـ ٧١ مقعدًا من أصل ١٢٨. بينما الأقلية السابقة (تحالف ٨ آذار/ مارس، المؤلف من حزب الله وحركة أمل الشيعيتَيْن، وقرابة نصف المسيحيين كما تمثّلهم مجموعة ميشيل عون)، ظلت أقلية، فنالت ٥٧ مقعدًا.

واللافت أنّ الميول الانتخابية كانت محسومة تمامًا عند الطوائف المسلمة، فصوّت السنّة لمرشحيهم بنسبة تتجاوز ٨٨٪، والشيعة بنسبة ٩٠٪، والدروز بنسبة ٩٢٪ ولكنّ الميول كشفت، في الوقت ذاته، عن انقسام في صفوف المجموعات المسيحية المتنازعة، بحيث آل إلى السنة والدروز أمر ترجيح فريقي الكتائب والقوات اللبنانية حلفاء ١٤ مارس، وتولى الشيعة دعم مرشحي الجنرال عون المسيحيين، وإن كان مسيحيو ١٤ آذار قد حازوا على ٥٨٪ من أصوات المسيحيين، في حين حصل مسيحيو المعارضة على نسبة ٤٢٪ من أصوات المسيحيين في لبنان.

ويشبِّه إلياس حنا[1] هذه الانتخابات في المناطق السنية والشيعية في لبنان بأنها أشبه بالتعيين، بينما جرت المعركة الحقيقية في مناطق المسيحيين.

**مغزى هذه النتيجة:**

١- أن سلاح حزب الله ليس كما يدَّعي الحزب يحوز إجماع اللبنانيين، بل هو شبه إجماع داخل الطائفة الشيعية، بينما هو مرفوض من غالبية ساحقة من السنة، وحوالي أكثر من نصف المسيحيين على الأقل.

٢- تراجع واضح لنفوذ الجنرال ميشيل عون داخل طائفته المارونية؛ فقد رسب في الانتخابات أربع وزراء من الوزراء المحسوبين عليه، وتراجعت كتلته من ٣٥ نائبًا في البرلمان الماضي إلى ٢٤ نائبًا مسيحيًّا في الجديد، وبذلك تسقط نظرية عون، والتي ملأ الدنيا بها صراخًا من أنه يمثل الكتلة الأكبر بين المسيحيين.

٣- نجاح الحريري المنقطع النظير في تجميع أكثرية ساحقة من أهل السنة حوله، وعمله على ترضية معظم التكتلات والزعامات السنية، خاصة في طرابلس، سواء بالمال أو الوعد بالمشاركة في صنع القرار داخل السنة.

٤- إحباط المشروع الإيراني للبنان الذي يقوم على إعطاء المسيحيين مزيدًا من الصلاحيات الرئاسية في مقابل إعطاء رئاسة الوزراء إلى الشيعة، أو على الأقل إبقاء سلاح حزب الله بعيدًا عن التجاذبات الداخلية اللبنانية.

**وبالرغم من هذه النتيجة فقد فشل تحالف ١٤ آذار في استثمار هذا النجاح، وترجمته على الأرض في شكل حكومة تدير الأمور اللبنانية وذلك لعاملين:**

١- تلويح حزب الله وحلفائه بالعودة إلى لغة السلاح، وتكرار أحداث السابع من أيار عند اجتياح ميليشيات الحزب للمناطق السنية في بيروت.

٢- انسحاب الدروز من التحالف، والحملة العنيفة التي أطلقها زعيمهم جنبلاط على السنة، وعلى

(1) http://www.aljazeera.net/NR/exeres/2E4D2D88-4C13-4E32-A797-95E3C79484D3.htm

مسيحيي الرابع عشر من آذار، هذا الموقف بمصطلح اللبنانيين إعادة للتموضع، بعد أن شـــعر جنبلاط أن الطرف الأقوى في المعادلة الداخلية هم الشيعة، وأن بوادر النصر تلوح في الأفق إقليميًّا لصالح إيران.

وقد اضطـــرت قوى الأكثرية إلـــى الرضوخ للأمر الواقع، والموافقة على تشـــكيل حكومـــة أُطلق عليها حكومة الوحدة الوطنية، تتيح للمعارضة الثلث، بينما تجعل للرئيس المســـيحي حصة قادرة على عرقلة أي قـــرار حكومي بصيغـــة ١٥ + ١٠ + ٥، وهذا يعني أن الرئيـــس الماروني، والتحالف المعارض الذي يســـيطر عليه الشـــيعة وعـــون قادرون علـــى تعطيل الحكومة والحد من دورها.

ولكن تشـــكيل الحكومة ظل متعثرًا حتى كتابة هذه السطور بسبب ظاهري، وهو إصرار عون على مطالبه التعجيزية.

ولكن الأســـباب الخارجية تبدو أكثر تعقيدًا، فبما أن المحادثـــات النووية بـــين إيران والـــدول الغربية متعثرة، فإن تشـــكيل الحكومة اللبنانية ســـوف يتعثر ويتأخر، حتى ولو تمت المصالحة الســـعودية السورية، أو الســـورية الأمريكية؛ فحزب الله القوة الأكبر على الساحة اللبنانية سيعرقل تشكيل هذه الحكومة بتركه العنان لحليفه عون كي يضع شـــروطه على الطاولة، ولكنه مســـتعد للضغط عليه كمـــا فعل بالدوحة حين تســـتقر إيران على صيغة محددة بالنسبة لبرنامجها النووي في اتفاقها مع الغرب.

## معلومات إضافية

### نص «اتفاق الدوحة» بين الفرقاء اللبنانيين:

فيما يلي نص «اتفاق الدوحة» الذي تم التوصل إليه يوم الأربعاء ٢١ مايو ٢٠٠٨م لحل الأزمة السياسية في لبنان بين الموالاة والمعارضة والمستمرة منذ ١٨ شهرًا:

«**أولاً**: اتفق الأطراف على أن يدعو رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري المجلس للانعقاد خلال ٢٤ ساعة طبقًا للقواعد المتبعة للانتخاب، والاتفاق على اختيار العماد ميشيل سليمان لرئاسة الجمهورية، علمًا بأن هذا هو الأسلوب الأمثل من الناحية الدستورية في هذه الظروف الاستثنائية.

**ثانياً**: تشكيل حكومة وحدة وطنية لبنانية من ٣٠ وزيرًا توزع على ١٦ للأكثرية، و١١ للمعارضة، و٣ للرئيس، وتتعهد كافة الأطراف بمقتضى هذا الاتفاق بعدم الاستقالة، أو إعاقة عمل الحكومة.

**ثالثاً**: اعتماد القضاء طبقًا لقانون ١٩٦٠ كدائرة انتخابية في لبنان؛ بحيث يبقى قضاءا (مرجعيون وحصبيا) دائرة واحدة، وكذلك قطاع (الهرمل والبقاع الغربي راشية)، وفيما يتعلق ببيروت سيتم تقسيمها على الوجه التالي:

الدائرة الأولى (الأشرفية، رميل، الصيفي). الثانية (الباشورة، المدور، المرفأ).

الثالثة (ميناء الحصن، عين المريثا، المزرعة، المصطبة، رأس بيروت، زقاق البلاط).

الموافقة على إحالة بنود الإصلاحات الواردة في اقتراح هذا القانون المحال إلى المجلس النيابي، والذي أعدته اللجنة الوطنية لإعداد قانون الانتخابات برئاسة الوزير فؤاد بطرس لمناقشته ودراسته، وفقًا للأصول المتبعة.

**رابعاً**: وتنفيذًا لنص اتفاق بيروت (السابق) المشار إليه في الفقرتين الرابعة والخامسة واللتين نصتا على اتفاق الأطراف على:

١- يتعهد الأطراف بعدم العودة إلى استخدام السلاح لتحقيق مكاسب سياسية.

٢- إطلاق الحوار حول تعزيز سلطات الدولة اللبنانية بين كافة التنظيمات السياسية لسيادة هذه السلطة على أمن الأراضي اللبنانية، بما يضمن أمن الدولة واللبنانيين.

وبذلك تم إطلاق الحوار في الدوحة، وتم الاتفاق على حظر اللجوء إلى استخدام السلاح، أو العنف تحت أي ظرف، أو أيًا كان الغرض من ذلك، أو الاحتكام إليه فيما قد يطرأ بما يضمن عدم الخروج على الشراكة الوطنية القائمة على تصميم عيش اللبنانيين في إطار نظام ديمقراطي، وحصر السلطة الأمنية والعسكرية على اللبنانيين والمقيمين في يد الدولة، بما يضمن سلامة اللبنانيين كافة، وتتعهد الأطراف بذلك، وبتطبيق القانون، واحترام سيادة الدولة بحيث لا تكون هناك مناطق يلوذ فيها الفارون الهاربون من وجه العدالة، وتقديم كل من يقوم بانتهاك جرائم للقضاء اللبناني، ويتم الاعتراف بالرئيس فور انتخابه، وتشكيل حكومة الوحدة وطنية بمشاركة الجامعة العربية، وبما يعزز الثقة بين اللبنانيين.

**خامساً**: إعادة تأكيد التزام القيادات السياسية اللبنانية على وقف لغة التخوين أو التحريض السياسي أو المذهبي على الفور، وتتولى اللجنة الوزارية العربية إيداع هذا الاتفاق لدى الأمانة العامة للجامعة بمجرد التوقيع.

وقد تم التوقيع على هذا الاتفاق في مدينة الدوحة يوم ٢٠٠٨/٥/٢١م من قبل القيادات السياســـية اللبنانية المشاركة في المؤتمر بحضور رئيس اللجنة العربية الوزارية وأعضائها».

**المصدر:** موقع إسلام أون لاين، انظر الرابط:

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1209357788485&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

* * *

## توزيع المقاعد في انتخابات مجلس النواب اللبنانية ٢٠٠٩م (بحسب الطائفة)

| إجمالي المقاعد | الموارنة | السنة | الشيعة | روم أرثوذكس | دروز | أرمن أرثوذكس | أرمن كاثوليك | روم كاثوليك | العلويون | بروتستانت | أقليات أخرى |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٢٨ | ٣٤ | ٢٧ | ٢٧ | ١٤ | ٨ | ٥ | ١ | ٨ | ٢ | ١ | ١ |

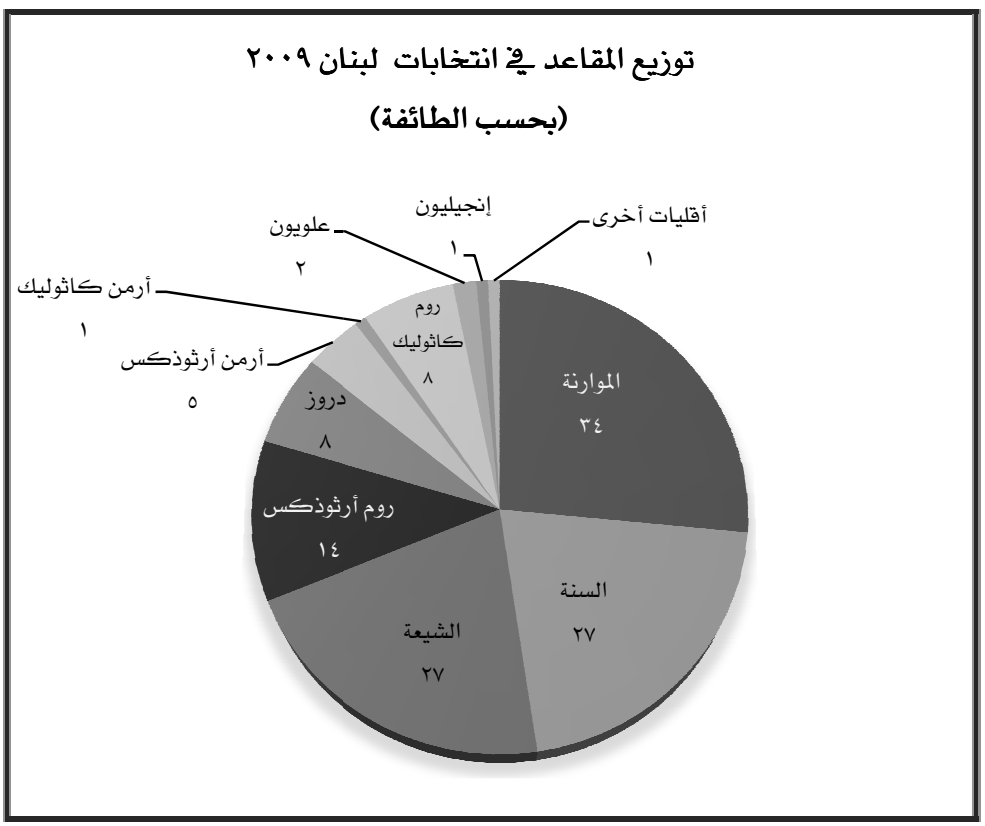


**مصدر الأرقام في الجدول:** موقع الهيئة الوطنية الخاصة بقانون الانتخابات النيابية

http://www.elections-lebanon.org

**كيفية توزع المقاعد بين الأحزاب في البرلمان اللبناني:**

**المصدر:**

جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٣٠٥ بتاريخ ٢٠٠٩/١١/١٠م.